

## نظر المُسلكي في الغرائز

الاعتراضات عليه واردة عليها

لـدكتور رطـن دعـمـيـه المـرـسـةـ الـلـكـيـةـ وـالـاسـتـاذـ بـجـاسـةـ جـوزـ مـبـكـرـ

تقوم حول دعوى المُسلكيـنـ منـ أـنـ التـاـسـ يـنـوـنـ لـاـ يـلـدـونـ اـعـزـاضـ وـجـيـةـ تـذـكـرـ هـنـاـ إـلـيـ: (١)ـ طـفـلـانـ ولـدـاـ وـنـأـاـ فـيـ وـسـطـ وـاـحـدـ تـعـوـطـهـاـ عـنـيـةـ وـاحـدـةـ مـنـ وـالـدـيـهاـ وـتـصـلـ بـهـاـ جـمـاعـةـ مـعـرـوـفـةـ مـنـ الـاقـارـبـ لـاـ يـلـبـانـ بـعـدـ حـينـ أـنـ يـظـهـرـاـ مـيـوـلاـ خـلـفـةـ، فـهـلـ يـعـنـىـ هـذـاـ إـلـاـ وـجـودـ أـشـيـاءـ مـوـرـوـنـةـ لـاـ اـرـتـلـبـانـ فـيـهـاـ؟ (٢)ـ اـخـوانـ يـعـيـشـانـ فـيـ بـيـتـ وـاحـدـهـ لـوـالـدـيـهاـ شـفـ باـصـولـ التـرـيـةـ فـهـاـ حـرـيـصـانـ عـلـىـ دـقـةـ مـاصـمـمـةـ الطـفـلـيـنـ سـالـمـةـ وـاحـدـةـ، أـصـيـبـ اـحـدـ الـآـخـرـينـ بـاـخـضـرـ اـهـمـالـ اـخـذـهـ إـلـىـ الـمـسـتـشـىـ وـهـنـاكـ تـلـتـهـ الـمـرـضـةـ بـلـيـهـاـ الـعـيـانـ وـنـشـتـهـ الـكـلـوـرـفـوـرـمـ ثـمـ أـعـمـلـ الـطـيـبـ سـلـاحـهـ فـيـهـ يـخـرـجـ هـذـاـ الطـلـلـ مـنـ هـذـاـ كـلـاـهـ يـذـكـرـاتـ مـؤـلـةـ تـجـمـلـهـ يـخـرـعـ إـذـاـ رـأـيـهـ مـرـضـةـ وـيـغـرـقـ مـنـ اـسـمـ الـطـيـبـ (٣)ـ اـحـتـانـ لـثـائـتـاـ سـاـمـ اـصـيـتـ اـحـدـاـهـ بـصـدـمـةـ جـنـبـيـةـ قـدـ تـكـنـىـ لـقـيـرـ مـلـكـهاـ مـعـ الرـجـالـ طـيـقـ حـيـاتـاـ

يـفـهمـ مـنـ هـذـاـ أـنـ لـيـسـ هـنـاكـ وـسـطـ وـاحـدـ وـمـؤـرـاتـ وـاحـدـةـ كـاـتـيـومـ التـاـسـ .ـ وـاعـزـاضـ آـخـرـ يـفـسـدـ الـبـيـلـوـجـيـوـنـ سـدـ دـعـوـيـ الـمـلـكـيـنـ وـذـكـرـ هـوـ القـوـلـ بـالـفـرـوقـ الـجـنـيـةــ هـمـ يـفـمـلـونـ أـنـ هـذـاـ الجـنـسـ دـيـ وـيـظـلـ كـذـكـ اـبـدـ الـدـهـرــ وـلـكـنـ الـمـلـكـيـنـ لـاـ يـؤـمـنـونـ بـالـفـرـوقـ الـجـنـيـةـ وـيـقـولـونـ أـنـ الزـعـيـيـ مـنـلـاـ اـحـطـنـ الـأـوـرـيـ لـاـنـ الـفـرـصـ الـلـازـمـةـ لـتـطـوـرـهـ وـوـقـيـهـ لـمـ تـعـلـمـ لـهـ لـبـسـ غـيـرـهـ اـنـ اـذـ اـبـتـدـعـنـ وـمـطـهـ الـكـلـاـيـ وـشـدـةـ الـجـلـوـ عـلـيـهـ ثـمـ أـعـطـيـ كـلـ اـنـفـرـصـ الـمـكـنـةـ فـانـهـ بـتـيـرـ وـيـشـدـلـ وـاعـزـاضـ آـخـرـ يـنـتـشـبـ مـنـ هـاـ وـهـوـ قـوـلـ الـبـيـلـوـجـيـوـنـ بـالـفـرـقـ بـيـنـ وـزـنـ دـمـاغـ الـأـوـرـيـ وـدـمـاغـ الـمـسـجـيــ وـلـكـنـ الـحـقـيـقـةـ فـيـ هـذـاـكـهــ بـصـرـفـ اـنـتـرـ عـنـ التـقاـفـــ هـيـ اـنـ وـزـنـ الدـمـاغـ يـنـتـسـبـ مـعـ دـنـ الـجـمـ، وـدـمـاغـ الـمـسـجـيـ خـلـيفـ الـوـزـنـ لـاـنـ جـسـمـ خـلـيفـ هـوـ الـآـخـرـ، وـوـزـنـ دـمـاغـ الـرـأـءـ الـأـوـرـيـ لـاـ زـيـدـ عـنـ دـمـاغـ الـرـأـءـ فـيـ الـبـوشـانــ وـالـسـبـبـ فـيـ ذـكـ هـوـ أـنـ مـوـسـطـ تـقـلـ جـمـ الـرـأـءـ الـأـوـرـيـ كـنـوـسـطـ تـقـلـ جـمـ الـرـأـءـ فـيـ الـبـوشـانــ وـعـلـىـ هـذـاـ فـلـيـتـ خـفـةـ وـزـنـ الدـمـاغـ فـيـ الـأـوـرـيـ بـالـنـيـةـ لـوـزـنـ دـمـاغـ الـأـوـرـيـ سـبـبـاـ اـنـ اـنـرـأـءـ فـيـ اوـرـيـاـ اـحـطـ عـتـلـيـةـ مـنـ الـرـجـلـ هـنـاكــ وـاـذـاـكـانـ الـمـلـكـيـنـ لـاـ يـؤـمـنـونـ بـالـغـرـائزـ فـاـذاـ يـضـوـنـ سـكـانـاـ مـنـ الـإـيـادـاـ؟ـ وـكـيـفـ يـنـوـنـ مـنـ النـازـعـ الـبـداـئـيـةـ فـيـ الـطـفـلـ بـنـاءـ مـنـظـمـاـ تـائـيـقـ زـكـيـهـ؟ـ يـفـمـلـونـ ذـكـ بـالـدـرـبـ وـلـتـلـلـ لـكـ عـلـىـ ذـكـ بـحـوـادـثـ مـاـ يـقـعـ بـعـدـ نـظـرـكـ كـلـ يـوـمــ مـنـ بـنـ مـنـازـعـ الـطـفـلـ الـبـداـئـيـةـ فـيـ اوـلـ جـاتـهـ وـرـضـعـ اـصـبـدـ فـيـ فـهـ ثـمـ مـصـ ذـكـ الـاصـعـ

اضرب على اصبع الطفل بقلم ضربة سريعة في كل مرة يضع فيها الطفل اصبعه في قلم تجد بعد حين ان مجرد رؤية القلم يجعل الطفل يسحب اصبعه من قلمه ، وبعد حين آخر تجد ان مجرد رؤية الشخص القارب تكتفي بذلك . وفي هذه العملية لم تكن لا رؤية القلم ولا حامله تكفي لجعل الطفل ان يسحب اصبعه . مثل آخر — التنس في الطفل ظاهرة قبيلوجية — اضرب على المعلم متلاً فيتأثر التنس ثم اعقب كل مرة ضربة فيها المعلم ابراز تقاحة حراء فلا تطلب بعد تكرار العملية ان يغدر ان مجرد ابراز التقاحة يمهدت عين التأثير الذي كان يهدى القرب على المعلم وتصور ان جديداً تعود سماح انفاس الاوامر والقيام بحركات بما يوافق معانها ، ان هذه الانفاس تغير في الجذب حركاته للطلوبة بدون وعي منه متى تعودها العود الطويل وبعده ان احد الجندي المرحوم كان يسير في شارع وهو يحمل طفله بين يديه ثم سمع كلة من كات اوامر الجيش تلقى على غيره من الجندي فاتسب متلاً كأنما قد وُجّهَ اليه الامر ووقع ابنه من بين يديه . فهذا البناء الذي صار عليه الجندي في خصوص الاوامر وحركاتها المعنونة ، هو عين البناء الذي يقول به رجال المُسلكية في مسألة تدريب الاطفال فسرعان ما يتدرج الطفل على مصادمة الابن وصوت الام ووقع خطواتها وصوت الاب وطريقة رضي في سروره . درب طفلاً ابن نسمة اشهر على ان يذهب الى سريره كل ليلة وهو يحمل لدية بين يديه ثم ارسله ليلة لياما دون ان تمحشه لبيته وانظر كيف يبول . وأمثال هذه الحوادث كثيرة وكلها ترتكب ان الطفل يتکيف حسب الماذج التي توضع له ، والابنان لا يستطيع ادراك مبلغ لذة الطفل واستعداده للكيف ما لم يختبر ذلك بنفسه . والا ان هلا يرى القارئ الكريم ان ذذهب المُسلكية خير من القول بالفرآز والوراثات ؟ اذ ان هذا المذهب الحديث من شأنه ان يفتح امام الانسانية آمال الحياة بدل ان يصطدم العالمون بفرآز ووراثات متحجرة زمام يسلون في مواد لينة شولة التكيف ؟ والا يرى الوالدين في هذا المنصب خرجاً لهم من هذا النقص الذي قد يهدونه في اولادهم فيحيرون طيباً لا ابل في اصلاحه وماموا طيباً ولا اصلاحه بسيء واما هو عقد سبيه فله ما يمرقه المثلوون عن زرية الاطفال من النهاية . وهلا يرى العالم كله مبلغ ما يضعه عليهم هذا المذهب من مشكلات تدريب جيل جديد صالح لهذه الانسانية الكثيرة التقائص ؟ وهل ما يمنع الناس ان يؤمنوا بأن تلك القطة من « البروتوبلازم » يمكن ان تتراوحا ايد صالحة وتکيفها حسب ماذج حنة مما يدفع بالانسانية الى التقدم المشرئ ؟ اما عن فلست نجد ما يمنع هذا الاعتقاد الهم الا الاعيان القديم بالفرآز والوراثات

ترجمة وتلخيص : يوسف حنا